الفصل الأول

في المصطلحات والتأسيس الفكري

obeikandl.com

obeikandl.com

الإسلام والفكر الإسلامي تَشابهٌ وتَمايز

ثمة فروق دقيقة بين كثير من المصطلحات والمفاهيم المتقابلة والمتداخلة، ينبغي استحضارها، والتنبيه دائمًا إليها؛ لأن تجاهل هذه الفروق يؤدي إلىٰ الخلط والتلبيس، وإلىٰ تشويه الحقائق، مما يصعب معه أن يقوم حوار فكري بنّاء، يهدف إلىٰ الاتفاق علىٰ الأصول والكليات، والتجاوز في الفروع والجزئيات، وإلىٰ التشديد في المتفق عليه، والتسامح في المختلف فيه.

من تلك الفروق الدقيقة فيما يتصل بالمصطلحات والمفاهيم، الفرق بين الإسلام والفكر الإسلامي.. هل هما شيء واحد متطابقان؟ أم أن لكل منهما دائرته، وخصائصه، ومصادره، وبينهما تداخل وتمايز، ولا يجوز بحال من الأحوال مهما اتسعت دائرة التداخل والتشابه أن نغفل عن دائرة التمايز والاختلاف؟

في البداية لابد من تحرير المصطلحات؛ حتىٰ نضبط المفاهيم والمضامين.

الإسلام هو الدين الذي أرسل الله به نبيه محمدًا ﷺ إلىٰ الناس كافة، وهو يتمثل في القرآن الكريم، وما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير(١).

أما **الفكر الإسلامي** فهو تعاطي المسلمين مع هذا الوحي المعصوم- القرآن الكريم والسنة النبوية- فهمًا واستنباطًا وتطبيقًا، أو فكرًا وممارسة.

وللإجابة عن السؤال المطروح نقول: إن الإسلام ليس هو الفكر الإسلامي؛ لأننا نستطيع أن نقول بإجمال: «إن الفرق بين الإسلام والفكر الإسلامي هو الفرق بين ما لله وما للإنسان» علىٰ حدّ تعبير الشيخ محمد الغزالي، فبين الإسلام والفكر

(١) أرسل الله سبحانه أنبياءه ورسله جميعًا بدين واحد هو دين الإسلام، لكن تعددت شرائعهم واختلفت أحكامها التفصيلية؛ حسب طبيعة الأقوام الذين أُرسلوا إليهم، والأدواء التي انتشرت فيهم. ثم صار لفظ «الإسلام» خاصًّا وعَلَمًا علىٰ الرسالة الخاتمة التي جاء بها النبيُّ محمد ﷺ للبشرية جميعًا؛ حيث أكمل الله سبحانه به الدين، وأتم النعمة، وأقام الحجة؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: 3).

الإسلامي أوجهُ تشابهٍ وتداخل في دوائر عمل كل منهما، كما أن بينهما أوجه اختلاف وتمايز، بحيث يبقىٰ لكل منهما سماته وخصائصه المتميزة والمتفردة.

وتأتي **أوجه التشابه** بينهما من أن الفكر الإسلامي يعتمد علىٰ الإسلام، وينطلق من نصوصه وثوابته، ومنه يستمد مدارسه ومذاهبه، وهو- أي الفكر الإسلامي- يقدّم مقولاتهالأساسية، بما تشمله من مفاهيم وقيم ومبادئ وأصول.. لا علىٰ أنها نصوص مقدسة، ولكن باعتبار أن هذه المقولات هي الفهم «البشري» للنص «المقدس»، وهي التطبيق «المقيد» بالزمان والمكان والحال، للحكم «المُطلَق» الذي يتجاوز في دلالاته ومضامينه حدودَ الزمان والمكان والحال..

وهذا ما قد يُحدث بعض اللبس، خاصة عند المتربصين من المستشرقين وأذنابهم، الذين لا يحسنون التفرقة بين النص المقدس والفهم البشري.. بين الأصول الثابتة والفروع المتغيرة.. بين الشريعة (وهي وحيٌ إلهي) وبين الفقه (وهو اجتهاد بشري).

وأما **أوجه الاختلاف والتمايز**، فهي أن الإسلام وَضْعٌ إلهي، ثابت لا يتغير، يصلح لكل زمان ومكان، ومصدره القرآن الكريم والسنة النبوية؛ ولذا فهو مقدس وتجب له السمع والطاعة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ (النور)، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (الأحزاب).

أما الفكر الإسلامي فهو اجتهاد بشرىٰ، يتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال، ويقوم علىٰ النشاط الذهني بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق واستنباط، كما أنه فكر يلتزم بالأصول والثوابت الإسلامية ويجتهد في تكييف المتغيرات والمستجدات، ويبقىٰ- في مجمله- قابلًا للأخذ والرد؛ ولذلك يقول الإمام مالك: «كل إنسان يُؤخذ من كلامه ويُرد، إلا صاحب هذا القبر»، وأشار إلىٰ قبر النبي ﷺ.

ويوجز الشيخ محمد الغزالي الفرق بينهما فيقول: «الفكر الإسلامي مستحدَث،

ويخضع لقانون التطور، ولعوامل الاضمحلال، أما الإسلام فإنه كتاب ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (فصلت). الفكر الإسلامي غير معصوم من الخطأ والوهن، والإسلام معصوم عن ذلك كله. وكتاب الإسلام- لأنه معصوم من الزيغ والضعف- له قداسة، وله حق الطاعة المطلقة على المؤمنين به . والفكر الإسلامي لا تجب الطاعة له إلا بقدر ما فيه من تمثيل لكتاب الله ورسالة السماء ، ذلك أنه- أصالة- يخضع للنقد والمخالفة. الفرق بين الإسلام والفكر الإسلامي هو الفرق بين ما لله وما للإنسان»(1).

ويؤكد هذا الفرق أيضًا الإمام محمود شلتوت فيقول: «وقد اتصلتْ بالقرآن- بعد أن التحق محمد بربه- أفهامُ العلماءِ والأئمة فيما لم يكن من آياته نصًّا في معنى واحد، ومن هذا الجانب اتسع ميدان الفكر الإسلامي، وكثرت الآراء والمذاهب في النظريات والعمليات، لا على أنها دين يُلتَزم، وإنما هي آراء وأفهام فيما هو من القرآن محتمل للآراء والأفهام، يردّ فيها كل ذي رأي منها رأيه إلى الدلالة التي فهمها هو من النص القرآني، بمعونة ما صح عنده من أقوال الرسول أو أفعاله، أو من القواعد العامة التي ترمي إليها روحُ الدينِ عامة» (2).

إن هذا التداخل والتمايز بين الإسلام والفكر الإسلامي يدلان بوضوح لا لبس فيه أن الإسلام لم يحجر على العقل، ولم يضع له قيدًا من التقليد والاتباع دون دليل ، بل فتح له أبوابًا رحبة من الفهم والتدبر في كتاب الله المسطور (القرآن) وكتاب الله المنظور (الكون)، وفي أعماق النفس وآفاق الكون ، فالإسلام «دين يتسع للحرية الفكرية العاقلة، ولا يقف- فيما وراء عقائده الأصلية وأصول تشريعه- على لون واحد من التفكير، أو منهج واحد من التشريع، وقد كان- بتلك الحرية- دِينًا يساير جميع أنواع الثقافات الصحيحة، والحضارات النافعة التي يتفتق عنها العقلُ البشري في صلاح البشرية وتقدمها، مهما ارتقى العقل، ونمت الحياة»(3).

(1) الغزالي، ليس من الإسلام، ص: 114.

(2) شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ص: 8، دار الشروق، ط10، 1980م.

(3) المصدر نفسه، ص: 9.

دائرة عمل الفكر الإسلامي:

تتميز رسالة الإسلام بخصائص عدة، استحقت بها أن تكون خاتمة للرسالات السماوية، ومهيمنة عليها، وصالحة للتطبيق على اختلاف الزمان والمكان والأحوال.

من هذه الخصائص: الجمع بين الثبات والمرونة، ونعني بذلك «الثبات على الأهداف والغايات والمرونة في الوسائل والأساليب، الثبات على الأصول والكليات والمرونة في الفروع والجزئيات، الثبات على القيم الدينية والأخلاقية والمرونة في الشئون الدنيوية العلمية».

ودائرة عمل الفكر الإسلامي هي مساحات المرونة ، بما تتضمنه من المرونة في الوسائل والأساليب، والفروع والجزئيات، والشئون الدنيوية العملية ، وهي المساحات التي تقبل تعدد الآراء وتنوعها، ولا بأس فيها من الاختلاف المنضبط بأصول الاختلاف العلمية والأخلاقية. وتُعرف هذه المساحات في علم أصول الفقه بـ«محل الاجتهاد»، أي: ما يجوز فيه الاجتهاد.

لقد كان لازدهار الفكر الإسلامي وتعدد مدارسه الفقهية والكلامية، وتنوع مناهج الاجتهاد فيه، أسباب شتى، بعضها يرجع إلى النصوص الشرعية ذاتها، وبعضها الآخر يرجع إلى الواقع المتجدد. وأهم هذه الأسباب: أن النصوص منها محكم ومتشابه، وأن النصوص متناهية والأحداث غير متناهية، وأن عقول الناس في الفهم والاستنباط متفاوتة، وأن العادات والأعراف تختلف من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان.

ومن هنا، فإن الوقائع التي تقع للناس بالنسبة لأحكام الإسلام ، القطعية والظنية ، **تنقسم إلى ثلاثة أقسام:**

1- وقائع وردت فيها نصوص محكمة، قطعية الثبوت والدلالة، فهذه لا اجتهاد فيها ولا تأويل؛ لأن المسلم «مقيد حقًّا بالنصوص المحكمة الثابتة من القرآن والسنة، وهي المجزوم بثبوتها، القواطع في دلالتها، التي أراد الشارع الحكيم أن تلتقي عندها الأفهام، ويرتفع عندها الخلاف، وينعقد عليها الإجماع ، فهي أساس

الوحدة الفكرية والسلوكية للمجتمع المسلم، وهي للأمة كالجبال للأرض، تمسكها أن تميد، وتحميها أن تضطرب وتتزلزل، وهذا النوع من النصوص قليل جدًا بالنسبة إلىٰ سائر النصوص» (١).

2- وقائع وردت فيها نصوص متشابهة، ظنية الثبوت والدلالة، وهذه محل الاجتهاد والاختلاف؛ »لأن المجتهد عليه أن يبحث في الدليل الظني الورود من حيث سنده، وطريق وصوله إلينا عن الرسول ﷺ، ودرجة رواته من العدالة والضبط والثقة والصدق.. فإذا أدَّاه اجتهاده في سند الدليل إلىٰ الاطمئنان لروايته، وصدق رواته، اجتهد في معرفة ما يدل عليه الدليل من الأحكام، وما يطبق فيه من الوقائع؛ لأن الدليل قد يدل ظاهره علىٰ معنىٰ، ولكنه ليس هو المراد.. وهاديه في اجتهاده: القواعدُ الأصولية اللغوية، ومقاصد الشارع ومبادئه العامة، وسائر نصوصه التي بيّنت أحكامًا، وبهذا يصل إلىٰ أن النص يطبق في هذه الواقعة أو لا يطبق»(٢).

3- وقائع لم يرد فيها نصوص، ويسميها د. يوسف القرضاوي بـ «منطقة الفراغ التشريعي»، وهي المنطقة التي تركتها النصوص - قصدًا- لاجتهاد أولي الأمر والرأ ي، وأهل الحل والعقد في الأمة، بما يحقق المصلحة العامة، ويرع ىٰ المقاصد الشرعية، من غير أن يقيدنا الشارع فيها بأمر أو نهي.

وهذه الوقائع- التي لم يرد فيها تشريع - فيها مجال متسع للاجتهاد؛ لأن المجتهد يبحث ليصل إلىٰ معرفة الحكم فيها من خلال القياس ، أو الاستحسان ، أو الاستصحاب ، أو مراعاة العرف ، أو المصالح المرسلة ، أو غير ذلك من أدلة الأحكام.

وهكذا نرىٰ أن مساحة الاجتهاد- التي تمثل دائرة عمل الفكر الإسلامي- مساحة رحبة واسعة ، إذ هي لا تستثني إلا النصوص المحكمة، قطعية الثبوت والدلالة، وماعدا ذلك فالباب فيه مفتوح أمام الاجتهاد والتجديد والاختلاف والتنوع، مادام أنه

(١) د. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص: 228.
(٢) الشيخ عبد الوهاب خلاف، أصول الفقه، ص: 217، دار القلم، ط 8.

لا يتصادم مع الأصول الثابتة والقواعد العامة المستقاة منها، ومادام أنه يحقق مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة.

كما نرى- أيضًا- أن الفكر الإسلامي هو عمل العقل المسلم في الإسلام فهمًا وتطبيقًا؛ ولذا يظل من الأهمية بمكان أن ندرك الفرق بينهما؛ لأنهما مهما بلغا من التداخل، فلكل منهما دائرته الخاصة، وسماته المميزة.

ومن ثم، فمصدر التلقي- الذي له العصمة والحفظ- هو القرآن الكريم والسنة النبوية، وليس الفكرَ البشريَّ غيرَ المعصوم، فهذا الفكر البشري- وإنْ بلغ درجات عليا من الرقي والنقاء - يبقى في المحصلة جهدًا بشريًّا ؛ يقبل الخطأ والصواب، والأخذ والرد.

obeikandl.com

المصطلحات.. بين التحرير والتزييف

من الأمور التي تثري الحوار وتجعله هادفًا وبناءً، وبعيدًا عن السفسطة والتلاعب بالألفاظ؛ البدءُ بالتحديد الدقيق لمعاني المصطلحات والمفاهيم ، محل الحوار والمناقشة.. وهذا ما يُعرف في تراثنا بـ«تحرير المصطلحات».

ذلك أنه إذا كانت اللغة وسيلة للتخاطب، فإن «تحرير المصطلحات » وسيلة للتفاهم؛ لأنه في غياب التحديد الدقيق للمصطلحات يصير الحوار مثل حوار «الطرشان»، أو يكون المتحاورون كمن يتحدثون بعضهم مع بعض بلغات مختلفة ، فأنىٰ لهم أن ينالوا مرادهم من الفهم والتواصل؟!

وتتأكد أهمية «تحرير المصطلحات» إذا كنا بصدد الحديث عن التيارات الفكرية المعاصرة، ونقد الحضارة الغربية، ومناقشة المذاهب الوافدة؛ لأن «المصطلحات التي نواجهها اليوم.. ليست ألفاظًا لغوية، أو أوصافًا لعلم من الأعلام ، وإنما هي مصطلحات تكمن وراءها منظومة حضارة تختلف في مقدماتها ونتائجها من منظومتنا، أو نمطنا الاجتماعي»(١).

ومن ناحية أخرىٰ، فإن الغرب يسعىٰ دائمًا لجعل مصطلحاته ومفاهيمه ذات صبغة معرفية مركزية، لتكون مصطلحات عالمية ، ترى العالم من خلالها، وتتحدد معاني الأشياء كما تتداولها الحضارة الغربية.

في القرآن والسنة:

كما عُني الإسلام بتصحيح العقائد والتصورات، ونقل الناس من عبادة الأوثان إلىٰ التوحيد الخالص، والإيمان النقي، والفطرة السليمة، فإنه عُني -أيضًا- بضبط الألفاظ التي هي وعاء لتلك التصورات؛ ليكون الوعاء والمضمون متناسقين غير متناقضين.

---

(١) «المذهبية الإسلامية والتغير الحضاري»، د. محسن عبد الحميد، ص: 114، سلسلة «كتاب الأمة»، قطر، 1984م.

لذا نبَّه القرآن الكريم إلىٰ ضرورة التفرقة بين لفظ وآخر حين يختلف معناهما، قال تعالىٰ: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ (الحجرات: 14)، فقد أمر الأعراب باستعمال لفظ «الإسلام» بدلًا من «الإيمان»، وأخبرهم أنهم قد دخلوا في الإسلام ولكن لم تتحقق قلوبهم بعد بالإيمان.

وحذر القرآن الكريم - أيضًا - من استعمال الألفاظ التي يستعملها غير المسلمين، خاصة إذا اختلفت دلالتها، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (البقرة).

قال القرطبي في تفسيره: «حقيقة (راعنا) في اللغة: أرْعنا ولنَرْعك؛ لأن المفاعلة بين اثنين، فتكون من رعاك الله، أي احفظنا ولنحفظك، وارقبنا ولنرقبك، ويجوز أن تكون من أرعنا سمعك، أي: فرِّغ سمعك لكلامنا. قال ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعنا علىٰ جهة الطلب والرغبة - من المراعاة - أي: التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سبًا، أي: اسمع لا سمعت، فاغتنموها وقالوا: كنا نسبّه سرًّا فالآن نسبه جهرًا، فكانوا يخاطبون النبي ﷺ ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ - وكان يعرف لغتهم - فقال لليهود: عليكم لعنة الله، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أو لستم تقولونها؟! فنزلت الآية، ونهوا عنها؛ لئلا تقتدي بها اليهود في اللفظ وتقصد المعني الفاسد»[١].

فنقلُ الألفاظ من بيئة حضارية إلىٰ بيئة حضارية أخرىٰ، دون الأخذ في الاعتبار الأجواء والملابسات التي تولّدت فيها تلك الألفاظ، يؤدي بالضرورة إلىٰ حالة من التلبيس والتدليس الفكري.

وفي السنة النبوية نجد النبي ﷺ يهتم بتحديد الألفاظ التي يتداولها الناس، حتىٰ يمنع اختلاف التصورات والأحكام.

فقد روىٰ الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ

(١) «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي، من «المكتبة الإسلامية» علىٰ موقع «إسلام ويب».

يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ».

ففي هذا الحديث الشريف يوضح النبي ﷺ أن «الكبر» ليس اهتمام الرجل بثوبه ونعله، إنما هو ردّ الحق، وعدم قبوله، واحتقار الناس والتعالي عليهم.

في حضارتنا الإسلامية:

لقد تميزت حضارتنا الإسلامية- من بين ما تميزت به- بمنهجها العلمي، الذي ينطلق في استجلاء المفاهيم والمضامين من التفرقة بين الاسم اللغوي والاسم الشرعي.. الحقيقة والمجاز.. الخاص والعام والمشترك.. المطلق والمقيد.. إلىٰ غير ذلك من قواعد تفسير النصوص الشرعية وغيرها، وأصول فهم المراد والأحكام.

وقد تكفل ببيان ذلك كله «علم أصول الفقه»؛ ولذا صح أن يقال عن هذا العلم إنه يمثل الفلسفة الإسلامية أفضل تمثيل، كما ذهب لذلك الشيخ مصطفىٰ عبد الرازق في «التمهيد للفلسفة».

فالصلاة- مثلًا- تطلق في اللغة علىٰ: الدعاء، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ﴾ (التوبة: 103)، لكنها في الشرع تطلق علىٰ: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة.

وكذلك الحج، فهو لغة: القصد، أما شرعًا فهو: قصد مكة للنسك في زمن مخصوص.

فتحرير المصطلحات واتباع المنهج العلمي كما تميزت به الحضارة الإسلامية، من شأنهما أن يسهما في حوار جاد حول مشكلات الحاضر وتطلعات المستقبل، ويوصلا إلىٰ حقائق لها قدر كبير من الثبات والصحة، بعيدًا عن الظن والتخمين.

مراجعات مهمة:

إذا أتينا إلىٰ القرن العشرين وتأملنا مسيرة الوعي والفكر فيه- نجده قد تميز بكثرة المصطلحات المتداولة، والمناهج الوافدة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية، ومنها: الاشتراكية والرأسمالية، واليمين واليسار، والحداثة وما بعدها، وأخيرًا العولمة.

ولاشك أن المنهج الإسلامي قد يلتقي مع بعض هذه النظم في أشياء ويفارقها في أشياء أخرى، لكنه في كل الأحوال يبقى نظامًا متميزًا بشموله، ووسطيته، ونظرته للإنسان روحًا ومادة.

ولذا ينبغي ألا نصبغ الإسلام بأي من هذه المناهج أو المصطلحات ، حتى وإن التقى معها في بعض أهدافها.

وقد رأينا بعض علمائنا الذين حاولوا أن يبرزوا نقاط الالتقاء بين هذه النظم والنظام الإسلامي؛ سعيًا لجمع الكلمة وتوحيد الصف، رأيناهم يتراجعون عن ذلك، حينما اكتشفوا أن الآخرين لا يعنيهم النظام الإسلامي ومنهجه بقدر ما يعنيهم تطبيق ما يدعون إليه من مذاهب مادية ووضعية؛ ولذا فقد تراجع الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- عن تبني مثل هذه المصطلحات، وأعلن ذلك صراحة، فقال: "في مواجهة التيارات الفكرية الهاجمة علينا، أصدرتُ عدة مؤلفات تتحدث عن النظام الاقتصادي الإسلامي، كما تصورته من كتاب الله وسنة رسوله، وتطبيقات الخلافة الراشدة، وكان يغلب عليَّ- وأنا أقدم هذا التصور- **أمران**:

1- إطلاع المثقفين المعاصرين من خريجي المعاهد الدينية على الجوانب المضيئة من تراثنا، والمغنية عما سواها، حتى يكون تعلقهم بدينهم لا بغيره.

2- ثم الإزراء على الأوضاع المعوجة السائدة، ورفض السناد الديني الذي تنتحله لنفسها.

وأعترف بأني تجوَّزت في التعبير أحيانًا، وقبلت بعض العناوين الشائعة، كـ «الديمقراطية » في ميدان الحكم، و «الاشتراكية » في ميدان الاقتصاد؛ لا لإعجابي بهذه العناوين، ولكن لأجعل منها جسرًا يعبر عليه الكثيرون إلى الإسلام نفسه ، أي أني أريد نقل «الديمقراطيين » و«الاشتراكيين » إلى الإسلام بعدما أوضحته وأبرزت معالمه؛ لا أني أريد صبغ الإسلام بصبغة أجنبية أو نقله إلى مذاهب مستوردة»[1].

---

(1) الغزالي: قذائف الحق، ص: 189، دار القلم، دمشق، ط2، 1997م.

obeikandl.com

المصطلحات وإدارة الصراع:

لكل شعب من الشعوب محددات ثقافية، وقيم ومفاهيم تعبر عن هويته وجذوره، وتحكم حركة سيره وأفعاله، وهذا ما يسميه د. عبد الوهاب المسيري بـ «الخريطة الإدراكية».

ومن يتابع صراع العرب والمسلمين مع الصهيونية ، ومن ورائها الغرب الاستعماري، الذي زرع الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي لتفتيته والسيطرة عليه ، يجد أنهم قد شنوا بجانب عدوانهم العسكري علىٰ أرض المسلمين ومقدساتهم، حربًا أخرى موازية- لا تقل ضراوة- علىٰ عقيدة المسلمين وفكرهم، واستخدموا في ذلك عشرات بل مئات المصطلحات [1]؛ لتشويه الحقائق وتزييف التاريخ، وأصبحنا نعيش في زمن تغيير الخرائط الإدراكية، كما هو الحال في الخرائط الجغرافية!!

مما سبق، نستطيع أن نخلص إلىٰ أن المصطلحات ليست وعاءً لغويًا فحسب، إنما هي مضمون يدل علىٰ الذات والهوية الحضارية التي تنبع منها.

ومن هنا، استحقت قضية «تحرير المصطلحات»، والتحذير من «تزييفها»، أن نوليها الاهتمام والعناية الفائقين.

(١) سيأتي ذكر لأهم هذه المصطلحات في الموضوع التالي «ثقوب في البناء الفكري».

ثقوب في البناء الفكري

* يظل العقل المسلم مُطالَبًا باستمرار لأن يعمل علىٰ تحصين بنائه الفكري، ومنهجه الربّاني المتفرِّد.. وأن يكون يقظًا من أن يتسرب إلىٰ وعيه ما يناقض أصوله، أو يبدِّل ثوابته، أو يصرفه - ولو قليلًا - عن مهمته ومسئوليته..

ومن المعلوم- لدىٰ دارسي تاريخ الحضارات وطرق تفاعلها وتلاقحها- أن الأفكار لا تتسرب من حضارة إلىٰ أخرىٰ دفعة واحدة، إنما تبدأ في الانتقال تدريجيًا فكرة بعد فكرة لتأخذ مكانًا ثابتًا في الحضارة المنقولة إليها.. حتىٰ تشكِّل- حينئذ- ثقوبًا في البناء الفكري لتلك الحضارة.. يصعب الفكاك منها أو تنقيتها.

والأداة التي تسلكها الأفكار والمفاهيم للنفاذ والانتقال، تتمثل بالدرجة الأولىٰ في (المصطلحات).. ومن هنا تأتي أهمية النظر والتدقيق في استعمال المصطلحات الوافدة قبل إدخالها في البناء الفكري والخصائص الذاتية لحضارتنا.

* والمتأمل في مسيرة صراعنا مع الصهيونية- مثلًا- ومن ورائها الغرب الاستعماري، يجد أنهم قد شنُّوا بجانب عدوانهم العسكري علىٰ أرض المسلمين ومقدساتهم، حربًا أخرىٰ موازية- لا تقل ضراوة- علىٰ المنهج الإسلامي ، بأفكاره، وقيمه، وثوابته.

واستخدموا في ذلك عشرات بل مئات المصطلحات؛ لتشويه الحقائق، وتزييف التاريخ، وإحداث ثقوب وخروقات في بنائنا الفكري.

فهم حين يتحدثون عن «الشرق الأوسط»، يهدفون إلىٰ تغيير هوية البلاد العربية والإسلامية، وإدخال الكيان الصهيوني في علاقات ثقافية واقتصادية مع الشعوب العربية.

وحين يتحدثون عن «القدس الشرقية والقدس الغربية»، فإنهم يقصدون انتزاع حق المسلمين الثابت في استعادة كامل مقدساتهم.

كما أنهم يطلقون وصف «الإرهاب والعنف» علىٰ جماعات المقاومة ، ويعملون علىٰ الخلط بين حق الشعوب في الدفاع عن نفسها وبين أعمال العنف والقتل غير المبررة شرعًا وقانونًا.

ويتحدثون أيضًا عن «المدنيين» الإسرائيليين، في محاولة منهم للإيحاء بأن الكيان الصهيوني مثل باقي دول العالم، به مدنيون وعسكريون، بينما يتعامون عن حقيقة ثابتة وهي: أن الكيان الصهيوني جيش له دولة، وليس دولة لها جيش!!

والأدهىٰ من ذلك أن نجد من بين العرب مَن يتحدث عما يسميه «عذابات اليهود علىٰ مرّ التاريخ»، وأن الوقت قد حان لإنهاء كل هذه المعاناة! في حين يتجاهل تمامًا الحديث عن الاضطهاد الواقع علىٰ الفلسطينيين، مع أن سبب معاناة الفلسطينيين هم اليهود، في الوقت الذي لم يكن فيه الفلسطينيون سببًا لمعاناة اليهود!

بل وجدنا من يحاول إبراز اغتصاب اليهود لفلسطين والصراع بينهما، وكأنه أمر يخص الفلسطينيين والإسرائيليين وحدهما، وليس صراعًا يشمل الأمة الإسلامية كلها، دفاعًا عن مقدساتها وأراضيها الإسلامية.

* إن المصطلحات ليست منبتة الصلة عن الحضارة التي تنشأ في أ حضانها، فالحضارة- أيُّ حضارة- بما تنتجه من قيم ومفاهيم ومصطلحات تشبه- كما يذهب بعض الباحثين- الكيانَ العضويَّ الواحد، بحيث لا نستطيع أن نفصل عضوًا عن بقية الأعضاء.. بل يكون كل عضو بحاجة إلىٰ بقية الأعضاء؛ حتىٰ يؤدي هو ذاتُه عملَه علىٰ أتم وجه.

ولسنا بتأكيدنا علىٰ ضرورة استخدام ال مصطلحات التي عُرفت بها حضارتنا وتميزت ، ندعو إلىٰ الانكفاء علىٰ الذات، أو إلىٰ الانغلاق ع ن التواصل مع الآخرين.. ولسنا نرفض الاستفادة من الخبرات والمنجزات الحضارية - التي هي إرث مشترك للإنسانية كافة- إنما نقصد التأكيد علىٰ ذاتنا الحضارية وتعميقها، ورفض «الذوبان» أو «الدمج» في الحضارات الأخرىٰ، كما نشدد بذلك علىٰ ضرورة التحاور مع الآخرين من مواقعنا، وقيمنا الثابتة، وبنائنا الفكري المتفرِّد.

الطُفولة العقلية قراءة في الأزمة الفكريّة

لعلَّ من أخطر مظاهر الأزمة الفكرية التي يعاني منها المسلمون في العصر الحديث، وتضع علىٰ عقولهم وقلوبهم أقفالًا وحُجُبًا، وتصدُّهم عن استئناف الريادة و«الشهود الحضاري».. ما يمكن أن نسميه بـ«**الطفولة العقلية**».

ونعني **بالطفولة العقلية** : تلك الغشاوة التي تصيب البصائر، وتحجب العقول، فتجعلهما غير قادرين علىٰ إدراك واقع الناس بخرائطه المتشابكة، وتلمُّس احتياجاتهم، ومقاسمتهم همومهم، وغير مؤهلين لإيجاد حلول خلاَّقة ومعالجات مبتكرة للمشكلات والأزمات، وغير مُبْصرين لشروط النهضة، ومقاصد الشريعة، وفقه الأولويات، وسُنن التغيير والإصلاح..

فيبدو مَنْ تصيبهم تلك الطفولة- التي ليست مرتبطة بمرحلة عمرية معينة- وهم يتحدثون عن مجتمعهم، ويحاولون تشخيص عِلَله وأدوائه، كمَنْ يتحدث عن مجتمع غير الذي يعيش فيه، أو يقصد عالَمًا من كوكب آخر!! مما يجعلهم طوال الوقت يُعنون بمشكلات ليس لها وجود، أو ليست علىٰ مستوىٰ من الأهمية، بينما يتجاهلون كوارث قائمة، تأكل الأخضر واليابس.. لا تبقي ولا تذر، ويتعامون عن أخطار تهدد الأمة في وجودها، ومناعتها، وثوابتها.

ولا تزال تلك الطفولة تنمو وتتفشّىٰ في المجتمع، وتنخر في عافيته، وتخصم من قوته، وتُضْعِفُ قدرته علىٰ التحدي والصمود والنهوض.. حتىٰ تصيب صفوته ومثقفيه، ومن يُناط بهم - بحكم مناصبهم علىٰ الأقل!- توجيه الرأي العام وغرس القيم.. فيغْدُون مُطلِّين علىٰ الواقع البئيس من برج عاجي، ومنعزلين عن هموم الناس واهتماماتهم، دون أي إحساس بآلامهم وآمالهم، أو ملامسة مواطن الداء والدواء.

مظاهرها وأعراضها:

إننا نستطيع أن نتلمس مظاهر وأعراض الطفولة العقلية في جملة من الإشكاليات،

وهي من الوضوح ومن الأهمية بحث لا تخطئها عين المراقب، ولا يجوز أن تغيب عن مُريد الإصلاح والتغيير.

* وتتمثل أهم هذه المظاهر والأعراض في: **انعزال النُّخَب المثقَّفة عن واقع المجتمع**، الذي من المفترض أنهم جزء منه، ويعبِّرون عنه، ويجسِّدون أحلامه وأشواقه، ويرسمون له طريق النهضة والحضارة.. فبدل أن تكون هذه النُّخب (هُدَاة طريق) و(أدلَّاء خير) و(طليعةَ بعثٍ حضاريّ)، نراهم ينشغلون بقضايا فلسفية محضة، لا تَمُتُّ للواقع بصلة، ولا تمسُّ هموم الأمة من أي زاوية، بل تحلِّق في عالم الخيال والأوهام! وتَسْبح في بحر الأماني والافتراضات!

وتستمر تلك النُّخَب المثقَّفة في انعزالها عن المجتمع شيئًا فشيئًا، حتىٰ تتسع الهُوّة بينهما، ومن ثم يفقد المجتمع (عقلَه المدبِّر والموجِّه)، ويكون- حينئذٍ- جسدًا ضخمًا بلا رأس! أو كَمْن يسير في طريق وعرة علىٰ غير هُدىٰ وبيِّنة.. فأنَّىٰ له أن يصل إلىٰ غايته؟!

* وتتجلىٰ المظاهر أيضًا في **ضعف الخطاب الديني، لغةً ومضمونًا**، وعدم قدرة هذا الخطاب علىٰ مجاراة تطور الحياة والقضايا المستجدة مع المحافظة علىٰ الأصول والثوابت، وعدم تقديم رؤية إصلاحية نهضوية تستطيع إصلاح الدنيا بالدين، وتسهم في البناء الحضاري، و«**صناعة الحياة**»، وغرس قيم الإيجابية والإتقان والإعمار.

* كما تتبدىٰ لنا آثار الطفولة العقلية في **غياب القدرة علىٰ الإبداع والتجديد، وضآلة الإنتاج الفكري خاصة علىٰ مستوىٰ العلوم العملية والتطبيقية**، حتىٰ صارت الأمة تعتمد في غذائها ودوائها وكسائها وسلاحها علىٰ الدول الغربية، ولا تستطيع أن تستقلّ بأية صناعة في المجالات الحيوية! الأمر الذي جعل الشيخ محمد الغزالي يذكر متهكمًا أنه لو قيل لكل شيء في البلاد الإسلامية: عُدْ من حيث جئت، لسار الناس حفاة عراة، لا يجدون- من صنع أيديهم- ما يكتسون، ولا ما ينتعلون، ولا ما يضيء لهم البيوت!

نحو المصارحة والمكاشفة:

من المؤكد أن ثمة عوامل متشابكة ومترابطة، داخليًا وخارجيًا، قد أسهمت في تفشي الطفولة العقلية في واقعنا المعاصر، وإحداث هذه الفجوة الهائلة بين ماضٍ مشرق، استطاع المسلمون فيه أن يشيِّدوا حضارات زاهرة - ما زالت لها شواهد ناطقة كما في الأندلس- وبين واقعٍ متدهورٍ، يَئِنُّ تحت وطأة مشكلات اجتماعية وسياسية واقتصادية لا حصر لها.

إن رحلة العلاج- كما هو ثابت في علم الطب- تبدأ من دقّة تشخيص المرض وتوصيفه، وأيُّ جهدٍ يُبذَل دون الانطلاق من هذه الدقة هو جهد ضائع لا فائدة منه، بل هو جهد يباعد بيننا وبين إدراك الهدف المنشود..

فما لم نُحسنْ قراءة الأسباب التي أوصلتنا إلىٰ ما نحن عليه، ونضعْ أيدينا علىٰ جذور المشكلات، ونتدبرْ في أعماق الظواهر والأعراض، لنفهم ونحلِّل ونفقه سنن الله المعنوية والمادية معًا، فسنظل ندور في حلقة مُفْرغة من الشكوىٰ من مرارة الواقع وبُؤسه، دون الاهتداء إلىٰ الدواء الناجع، والبلسم الشافي.

** وإذا اتفقنا علىٰ ضرورة المصارحة والمكاشفة، ومواجهة النفس- علىٰ مستوىٰ الفرد والمجتمع- بعيوبها وسوءاتها، وأنه لا محيص عن ذلك للخروج من منعطفنا الحضاري.. **فيجب أن نعترف أن في مقدمة أسباب تلك الطفولة العقلية:** **الاستبداد السياسي** ، الذي يتصوَّر الناس دائمًا أطفالًا لم يبلغوا سنَّ الرشد، ولا يستطيعون إدارة شئونهم بأنفسهم، فيفرض عليهم وصايته، ويمارس عليهم هيمنته، ويحدد لهم طريقًا واحدًا في التفكير والحياة، دون أن يعمل علىٰ توفير البدائل، وإيجاد فرص متنوعة وخلاَّقة، ودون أن يغرس في الناس أهمية المشاركة في العمل العام، وضرورة تحمّل المسئولية تجاه وطنهم وأمتهم، الأمر الذي يؤثِّر في الناس بالسلب، ويجعلهم بعد فترة من الزمن ينسون أن لهم عقولًا، وأنهم قادرون علىٰ الاختيار، وتحمِّل المسئولية، وتقرير مصيرهم بأيديهم!

ولعل هذا المعنىٰ هو ما قصده **ابن خلدون** حين قال مقولته المشهورة: «**الظلمُ مُؤْذِنٌ بخرابِ العُمران**».

فالاستبداد تظهر وطأته علىٰ الإنسان والأشياء، وتنطبع بصماته علىٰ العقول والأفكار.. فيضمر الإبداع، ويُحْجِمُ المصلحون والمفكرون عن الإدلاء بآرائهم خشية أن تصيبهم سطوته، ولا تجد الناشئة والبراعم- حينئذ- مَنْ يأخذ بيدها، وينير لها طريق العلم والحرية..

هذا عدا ما يصيب البلاد والعباد من القحط والفقر، وتكدّس الأموال في يد ذوي النفوذ والسلطان، وما يترتب علىٰ ذلك من زيادة الفجوة بين شرائح المجتمع، بما يفقده توازنه، وتماسكه، وتراحمه، وإنسانيته.

ويوم أن افترق السلطان عن القرآن، وصار الحكم مَغْنمًا، وتفككت دولة الخلافة، وانتشرت الدسائس خاصة بين السياسيين... تحولت الأمة الإسلامية ذات **(الجسد الواحد)** إلىٰ دويلات مُمزَّقة مفكَّكة، وصارت شِيَعًا وأحزابًا، يأكل بعضها بعضًا.. وما ذلك إلا أثر من آثار الاستبداد، الذي يهلك الحرث والنسل، ويُفسد العمران مثلما يُفسد الضمائر والعقول والأخلاق!

** كما أن **تراجع الدور الحضاري لأمة الإسلام**، قد أسهم بدرجة كبيرة في تفشي «الطفولة العقلية»، وتأخر سنِّ الرُّشد الفكري، فاختزال الإسلام في الجانب التعبدي مع الغفلة عن المعنىٰ الشامل لمفهوم العبادة، والاحتفاء بالغيبيات التي لا سَنَدَ لها من الكتاب والسنة، والجنوح إلىٰ الخرافات والأوهام تحت مُسمَّىٰ (الكرامات)، والاقتصار علىٰ دراسة المتون والحواشي دون تطوير أساليب الدرس والتأليف، وعدم مواكبة المستجدات والواقع المتغير، والعجز عن إدراك الكُلِّيات والمقاصد العامة للشريعة، ودعوىٰ إغلاق باب الاجتهاد، وعدم إدراك الصلة الوثيقة- بل والتطابق الكامل- بين كتاب الله المسطور **(القرآن الكريم)** وكتاب الله المنظور **(الكون)**، والذهول عن سنن الله الثابتة في الأنفس والأفاق.. كل ذلك وغيره كان من سمات العقل الإسلامي في عصور التراجع الحضاري، التي أوجدت فجوة هائلة بين دين الله ودنيا الناس، وطبَعت العقول علىٰ التقليد والمحاكاة، وطمَست فيها القدرة علىٰ التجديد والإبداع.

ولم يستطع عقل المسلم المعاصر بعدُ أن يتخلص كليًا من آثار عصور التراجع الفكري والحضاري، رغم ما بُذل من محاولات مضيئة لإيقاظه من رقدته وغفلته، والرجوع به إلىٰ صورته الناصعة في القرون الأولىٰ.. ومازال أمامه عقبات كثيرة يتعيَّن عليه أن يتخطاها، ويبني علىٰ ما تحقق فيها من إنجاز.

** ثم يأتي- من قبل ذلك ومن بعد- **الغزو الفكري** ، الذي مثَّل إحدىٰ أذرع الاحتلال العسكري ووسائله في السيطرة والنفوذ، وأدواته في تغيير العقول والأفكار؛ لفَرْضِ نموذجه الفكري، ونمطه الاجتماعي، حتىٰ يستطيع الاحتلال ترسيخ أقدامه، وإضعاف قدرة الشعوب المحتلة علىٰ الصمود والمقاومة..

وقد استطاع المستشرقون أن يجنّدوا في بلاد المسلمين تلاميذ مخلصين لهم، يتبنون أفكارهم، ويروِّجون لها، ويُلْبسونها ثوبَ العقلانية والحرية والإبداع!! وكان بعضهم أشد خطرًا علىٰ الإسلام من المستشرقين أنفسهم!

ولا يخفىٰ علينا أن المستشرقين قد استخدموا- لتحقيق أهدافهم، وتزييف وعي الأمة، وتشويه عقيدتها وتراثها- أساليب شتىٰ ، من بينها: إثارة الشبهات حول الإسلام، عقيدةً وشريعةً، وحول اللغة العربية، أدبًا وفكرًا ، وكان القصد من هذه الشبهات زعزعة الإيمان بالإسلام ولغته، وبقدرتهما علىٰ التواصل مع الحاضر، والإسهام في الحضارة الإنسانية مرة أخرىٰ.

كما أثاروا شبهاتهم أيضًا حول **التاريخ الإسلامي**، فصوَّروه علىٰ أنه تاريخ نزاعات وصراعات، وتكالب علىٰ الحكم، واضطهاد للأقليات المذهبية والعرقية..

وكانت الدراسات الاستشراقية تتخذ- عن عمد- من بعض الصراعات في تاريخ المسلمين دليلًا وحجةً علىٰ فشل النموذج الإسلامي في الحكم وإدارة المجتمع، دون أن تلتفت تلك الدراسات إلىٰ الفرق الشاسع بين "الإسلام" كدين سماوي له العصمة والخلود علىٰ مدار الزمان والمكان والحال، وبين "فهم المسلمين" للإسلام، وتطبيقهم له أو ابتعادهم عنه.

ولذلك لا يصح- في المنهج العلمي المنزّه عن الهوىٰ- أن تُحسب أخطاء

المسلمين- مهما بلغت- علىٰ الإسلام، الفكرة والمنهج.. بل تبقىٰ تلك الأخطاء شاهد صدق علىٰ الطبيعة البشرية القاصرة، التي وإنْ أحرزت درجات عليا في الرقي والسمو فلن تبلغ الكمالَ المطلق؛ لأن الكمال المطلق لله سبحانه وحده.

وقد نجحت خطط الغزو الفكري في تحقيق أهدافها إلىٰ حدّ بعيد، حتىٰ أصبح الالتزام بالإسلام إرهابًا، والدعوة إلىٰ اللغة العربية تخلفًا ورجعية! وصار بعض المسلمين يخجلون من إعلان انتسابهم للإسلام وولائهم له، في الوقت الذي يحرصون علىٰ «الرطن» باللغات الأجنبية، ويتباهون بذلك!

لقد كان لإبعاد المسلمين عن الإسلام في نقائه وصفائه، وعن اللغة العربية وآدابها في اتساعها وتنوعها، آثارٌ وخيمةٌ في (جمود الفكر) و(فقر الإبداع).

ذلك لأن الإسلام لا يمثل للمسلمين عقيدةً فحسب، بل هو نظام شامل يمدُّهم بتصورات واضحة المعالم والقَسَمات، حول الكون، والحياة، والوجود الإنساني وغايته، ويقوم في تقرير ذلك علىٰ الحقائق الثابتة لا الظنون والأوهام، وهو نظام يُعلي من قيمة العقل، ويحضُّ علىٰ التفكير، وينعىٰ علىٰ التقليد والجمود، ويدفع الإنسان إلىٰ الحقائق المطْلقة بالدليل والبرهان.

كما أن اللغة العربية هي وعاء هذا الدستور الخالد (القرآن الكريم)، وحاضنة مفاهيمه وقِيَمه، والسبيل إلىٰ فهمه وإدراكه، والتفاعل معه بمستوىٰ يليق بعمق تصوراته واتساع حقائقه.

ولا غرو، **فالقرآن الكريم هو كتاب العربية الأعظم، واللغة العربية هي بيانُ القرآنِ المشرقُ المُعْجزُ الخالدُ.**

نحو استئناف المسيرة:

إن من أعظم آثار الغزو الفكري، والتي ما زلنا نعاني منها حتىٰ وقتنا الحاضر، أنْ عاش المسلمون مرحلة من **(التِّيه الحضاري)**، و**(الازدواج الفكري)**، و**(التشتت النفسي)**.

فلم يستطيعوا الاندماج في الحضارات الأخرىٰ، ونقلها بخيرها وشرها، وتعلم

لغاتها والإبداع بها؛ لأن ذلك غير ممكن عقلًا وشرعًا؛ لأن التجارب الحضارية لا تُستنسخ، ولا تُنقل بالكلية، إنما تتلاقح وتتفاعل، ويجوز فقط أن يقتبس بعضها من بعض بصورة ما.. فلكل بيئة حضارية خصائصُها المميِّزة، وإشكالياتُها الذاتية، وأيضًا حلولُها التي تظل وَقْفًا وحِكْرًا عليها، بحيث إنه ليس بالضرورة لهذه الحلول أن تؤدي عملها بالفاعلية ذاتها، إذا ما نُقلت إلىٰ بيئة حضارية أخرىٰ، ذات إشكاليات مغايرة كليًا أو جزئيًا.

كما أن المسلمين- نتيجة لهجمة الغزو الفكري والثقافات الوافدة- لم يستطيعوا أن يحافظوا علىٰ تراثهم بنقائه وصفائه، ويستفيدوا مما فيه من إبداعات متميزة، وإسهامات فكرية رائدة في جميع المجالات: الاجتماعي ة، والاقتصادية، والتربوية، والنفسية، بل وفي علوم الكون، والطب، والرياضيات أيضًا .. وهو التراث الذي ما أيسر أن يتواصلوا معه من جديد، ويبدعوا بلغته الخلاقة المتفرِّدة، ويستأنفوا مسيرته الحضارية، ذات الخصائص الربَّانية والإنسانية والأخلاقية.

ولذلك نقول:

إنه لا يمكن للمسلمين أن يعودوا مرةً ثانية إلىٰ الرّشد الفكري، والنّضج الحضاري، وسابق مجدهم وتفوقهم العلمي، ولا يمكن للعقل المسلم أن يُزاوج بين المثال والواقع، والحقيقة والخيال، ويستأنف مسيرة الإبداع والتجديد، إلا في ظلال الإسلام، وما يصوغه من تصورات ونُظُم ومناهج، وفي رحاب ما تركه علماؤنا السابقون من نهضة فكرية أثْرت تاريخَ البشرية، وأقامت حضارة متوازنة ومتكاملة؛ لأن الإسلام دين الله الخاتم الذي أكمله، وشِرْعَتُه الباقية التي ارتضاها، وفِطْرته النقيَّة التي فطر الناس عليها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ (الملك) .

obeikandl.com